التوجيه الدلالي لمجيء (إنَّ) بعد النداء في القرآن الكريم

Semantic guidance for the coming (إنَّ) after the call in the Holy Qur'an

إعداد

منال بنت عبد العزيز بن محمد الفيصل

جامعة الملك سعود – الرياض

Doi:10.33850/ajahs.2021.140328

الاستلام: ٣٠/ ١٠/ ٢٠٢٠ القبول : ٢٢/ ١١/ ٢٠٢٠

المستخلص :

يقوم هذا البحث على افتراض خصوصيّةٍ دلاليّة لمجيء (إنَّ) بعد النداء في القرآن الكريم، ويهدف إلى إظهار القيمة الدلالية لهذا التركيب، وإبراز الفروق في توجيه أثر الدلالة إلى أيٍّ من طرفي الخطاب، وبيان اختلاف المعنى باختلاف التوجيه. وكان أهم ما وصلَ إليه هذا البحث أنْ بيَّن أنّ دلالة التوكيد تتوجه في بعض تراكيب (إنَّ) إلى التأثير في الطرف الثالث (السامع) لا في الطرف الثاني (المخاطب)؛ لكونه عالمـًا بالخبر قبل التحدِّث به، كما في مجيء (إنَّ) في جمل التعريض بالدعاء بعد النداء، وتتوجه في تراكيب أخَرَ إلى التأثير في الطرف الأول (المتكلم) كما في حال وقوع الخبر على خلاف المترقب له، وتتسع دلالة (إنَّ) في بعض التراكيب فتدل على التوكيد وغيره، كتضمّنها دلالة التعليل في تراكيب مخصوصة، منها: مجيء (إنَّ) بعد النداء لتعليل السياق السابق لها. كما أن مجيء (إنَّ) في صدر الجملة لا يعني قطعها عن السياق قبلها، فهي تؤدي وظيفةً معنوية في ربط السياق التالي بالسياق السابق في كثير من مواضعها.

الكلمات الدلالية: إنّ في القرآن، إنّ بعد النداء، همزة إنّ، دلالة إنّ

Abstract:

This research is based on the presumption of a semantic specificity of the coming of (enna) after the call in the Holy Qur'an and aims to show the semantic value of this composition, and highlight the differences in directing the semantic effect to either side of the discourse, and show the difference in meaning according to the different direction. And the most important

finding of this research was that it showed that the affirmation connotation is directed in some combinations of (enna) to influence the third party (the hearer) and not the second party (the addressee) as he is aware of the news before speaking it, as in the coming of (enaa) in sentences of showing off the supplication after the call, and it is directed in other combinations to influence the first party (the speaker) as in the case of the news occurring in contradiction to what is expected of it, and the significance of (enna) is expanded in some of the combinations indicating affirmation and others, such as including the significance of the reasoning in specific combinations, including: The coming of (enna) after the call to explain the context previous to it. Also, just as the coming of (enna) at the front of the sentence does not mean cutting it from the context before it, as it performs a moral function in linking the following context with the previous one in many of its places.

المقدمة

إنّ القرآنَ الكريم كلامٌ مُعجِز لا يُحيطُ بإعجاز نظمه بشر، ومهما درسه الدارسون فهو فياضٌ بالدلالات والتراكيب التي لا يُحصي بديعَها مُحصٍ؛ فالبحث في لفظه ومعناه يفتح بابًا للتأمل في أساليب الخطاب القرآني، وفي اختلافِ نظم الكلام فيه عن غيره. من أجل ذلك وقع اختياري على دراسة (التوجيه الدلالي لمجيء إنَّ بعد النداء في القرآن الكريم). راجية من الله التوفيق والسداد في القول والعمل.

أهمية البحث:

١- شرف متعلق البحث ومحل الدراسة، حيث تنصب على دراسة التوجيه الدلالي لمجيء إنَّ بعد النداء في القرآن الكريم.

٢- اجتماع الجدة والأصالة في هذا الموضوع، أما الأصالة فلارتباطه بالقرآن العظيم، وأما الجدة فهي لبيان الأثر الدلالي لمجيء إنَّ بعد النداء في القرآن الكريم.

كما يسعى البحث إلى تحقيق عدد من الأهداف أهمها:

١- بيان القيمة الدلالية لمجيء (إنّ) بعد النداء في القرآن الكريم.

٢- إبراز الفروق في توجيه أثر الدلالة إلى أيٍّ من طرفي الخطاب، وبيان اختلاف المعنى باختلاف التوجيه.

من المعلوم أن الدلالة الشائعة لحرف (إنَّ) عند النحويين واللغويين هي التوكيد[١]، قال الجرجاني: "ثم إن الأصل الذي ينبغي أن يكون عليه البناء، هو الذي دُوِّن في الكتب، من أنها للتأكيد"[٢].

واستدلوا على دلالة (إنَّ) على التوكيد بمجيئها في جواب القسم، كما يُجاب القسم باللام المؤكِّدة[٣]، نحو: والله إنَّ زيدًا قائم، مقابلًا لقولك: واللهِ لزيدٌ قائم.

ويفسر بعضهم معنى توكيدها للجملة بأنه "كالمظاهرة بين دليلين مدلولهما واحد"[٤]، أي أنّ قول القائل: (إنَّ زيدًا قائمٌ) عوضٌ عن تكرير الجملة مرّتين، وقوله: (إنَّ زيدًا لقائمٌ) عوضٌ عن تكريرها ثلاث مرات، وفي ذلك اختصار مع حصول الغرض من التوكيد[٥].

والذي يظهر أن القول بدلالتها على التوكيد مختلفٌ عن القول بأنها عوضٌ عن التكرير؛ فتكرير الجملة هو من التوكيد اللفظي، والتوكيد اللفظي له أغراض لا يجدي في مواضعها التوكيد المعنوي ولا التوكيد بـ(إنّ) وغيرها؛ فمن هذه الأغراض: رفع توهم السهو من المتكلم، "فإن المخاطب قد يظن أن المتكلم عندما ذكر (زيدًا أو عليًّا)

---

١) ينظر: ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل. الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة (١٤٣٦هـ٢٠١٥م)، ٢٦٦/١. الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق. حروف المعاني والصفات، تحقيق: علي توفيق الحمد، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٩٨٤م)، ص٣٠. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: د. علي بو ملحم، بيروت: مكتبة الهلال، الطبعة الأولى (١٩٩٣م)، ص٣٩٠. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين. اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: د. عبد الإله النبهان، دمشق: دار الفكر، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ-١٩٩٥م)، ٢٠٥/١. المرادي، أبو محمد حسن بن قاسم. الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ-١٩٩٢م)، ص٣٩٣، ٤٠٢.

٢) الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة: مطبعة المدني، جدة: دار المدني، الطبعة الثالثة (١٤١٣هـ-١٩٩٢م)، ص٣٢٥.

٣) ينظر: ابن الخباز، أحمد بن الحسين. توجيه اللمع، دراسة وتحقيق: أ.د. فايز زكي دياب، مصر: دار السلام، الطبعة الثانية (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، ص١٥٢. أبو حيان، محمد بن يوسف. ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: رجب عثمان محمد، القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ-١٩٩٨م)، ١٢٣٧/٣.

٤) ابن برهان، عبد الواحد بن علي العكبري. شرح اللمع، تحقيق: فائز فارس، الكويت: د.ن، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م)، ص٦٤.

٥) ينظر: العكبري. اللباب، ٢٠٥/١. ابن الخباز. توجيه اللمع، ص١٤٩. ابن يعيش، يعيش بن علي. شرح المفصل، قدم له: د. إميل بديع يعقوب، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، ٥٢٦/٤.

كان ساهيًا أو غافلا، فتكرير الاسم يرفع هذا الظن"[٦]، ومن الأغراض للتوكيد اللفظي أيضًا: رفع توهم الغفلة عن المخاطب -سواء أكانت غفلته عن سماع الجملة أم سماع الكلمة- فيُكرر المتكلم كلامه؛ دفعًا لذلك[٧]، فيتجلى في هذين الموضعين عدم دقة القول بأنَّ التوكيد بـ(إنّ) عوض عن تكرير الجملة.

ويُفسِّر آخرون دلالتها على التوكيد بأنه على ثلاث درجات حسب حال المخاطب بها[٨]:

الأولى: توكيد النسبة بين الجزئين، وذلك في حال علم المخاطب بهذه النسبة.

ويمكن الاستدلال على ذلك بقوله تعالى: " إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ" [سورة القمر:٤٩]، حيث أكدت (إنَّ) نسبة الفعل (الخبر) إلى فاعله (المبتدأ)[٩].

وللجرجاني رأيٌ في ذلك؛ فهو يرى عدم الحاجة إلى التوكيد بـ(إن) إذا كان الخبر ثابتًا عند المخاطب غيرَ مظنونٍ فيه، وإنما يُحتاج إلى (إنّ) إذا كان للمخاطب ظن في الخبر بنفي ما ثبت، أو إثبات ما نُفي، "ولذلك تراها تزداد حسنًا إذا كان الخبر بأمر يبعد مثله في الظن، وبشيء قد جرت عادة الناس بخلافه"[١٠].

الثانية: نفي الشك عن النسبة، إذا كان المخاطب مترددًا فيها.

ومثال ذلك: قوله تعالى عن الجنّ -لما رجعوا إلى بعضٍ منهم لم يحضر حادثة استماعهم القرآنَ-: " فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا" [سورة الجن:١]، حيث أُكِّد الخبر بـ(إنَّ)؛ "لأنهم أخبروا به فريقًا منهم يشكون في وقوعه، فأتوا في كلامهم بما يفيد تحقيق ما قالوه"[١١].

الثالثة: نفي الإنكار، إذا كان المخاطب منكرًا للنسبة.

كما في قوله تعالى: " أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" [سورة يونس:٥٥]؛ إذ أُكدتْ النسبة في الجملتين بحرف

---

٦) السامرائي، فاضل صالح. معاني النحو، الأردن: دار الفكر، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، ٢٨٧/١.

٧) ينظر: السامرائي. معاني النحو، ٢٨٧/١.

٨) ينظر: ابن الناظم، محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك. شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، ص١١٦. الأزهري، خالد بن عبد الله. التصريح بمضمون التوضيح في النحو، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)، الأزهري. التصريح بمضمون التوضيح، ٢٩٤/١.

٩) ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط (١٣٩٣هـ)، ٢١٩/٢٧.

١٠) الجرجاني. دلائل الإعجاز، ص٣٢٥.

١١) ابن عاشور. التحرير والتنوير، ٢٩/ ٢٢٠-٢٢١.

(إنَّ)؛ لأن المشركين لما عبدوا غير الله جعلوا هذا المعبود في مقام الله -جلَّ وتعالى- فكأنه غير مملوك له -سبحانه- فهذا وجه إنكارهم للنسبة في الجملة الأولى، أما في الجملة الثانية فمعلومٌ إنكارهم لتحقق وعد الله في بعثهم بعد الموت، وحسابهم، ثم جزائهم[١٢].

وقد أشار إلى هذه الدرجةِ من التوكيدِ الجرجانيُّ وغيره، واستحبوا مجيء اللام معها في حالة إنكار المخاطب للكلام[١٣]، ومثال ذلك قوله -سبحانه- على لسان نبيه -صلى الله عليه وسلم- في دعوته للمشركين: "إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ" [سورة سبأ:٧]، وفي الآية الكريمة إثبات وتوكيدٌ للبعث بعد الموت[١٤]، والمخاطَب بها قومٌ ينكرون البعثَ، والدارَ الآخرة، وقد اجتمع في الآية التوكيد بـ(إنّ) وباللام.

غير أن دلالة التوكيد تتسع في بعض سياقات (إنَّ) متأثرة بما يسبقها وما يتلوها من تراكيب، ومن هذه السياقات: مجيء (إنَّ) بعد النداء في القرآن الكريم؛ إذ وردت في أكثر من ٧٠ آية، وبالتأمل في هذه الآيات الكريمة وأقوال المفسرين فيها، يمكن تصنيف السياقات التي وردت فيها (إنَّ) بعد النداء على النحو الآتي:

- سياق التعريض بالدعاء:

غالبًا ما يحذف منه حرف النداء (يا)، كما في قوله تعالى: " فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ" [سورة القصص:٢٤]، فقول موسى -عليه السلام- تعريضٌ بالدعاء دون التصريح بالسؤال، وذكر المفسرون أنه طلب في هذا الكلام ما يأكله، والكلام تعريض لما يطعمه؛ لما ناله من شدة الجوع، والتعبير بالماضي بدل المضارع في (أنزلت) للاستعطاف كالافتتاح بـ(ربِّ)، وأُكّدت الجملة بـ(إنَّ) للاعتناء بها[١٥].

---

١٢) ينظر: أبو حيّان، محمد بن يوسف بن علي. البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر، د.ط (١٤٢٠هـ)، البحر المحيط، ٧٣/٦. ابن عاشور. التحرير والتنوير، ١٩٩/١١.

١٣) ينظر: الجرجاني. دلائل الإعجاز، ص٣٢٧.

١٤) ينظر: الزمخشري، محمود بن عمرو. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة (١٤٠٧هـ)، ٥٦٩/٣.

١٥) ينظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م)، ٢٧٠/١٣. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ)، الألوسي. روح المعاني، ٢٧٣/١٠.

وفي قوله تعالى: " قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ" [سورة القصص:٣٣]. تعريضٌ بالدعاء من موسى -عليه السلام-، ومقدمة لطلب الحفظ والتأييد بأخيه هارون؛ لإبلاغ الرسالة على أكمل وجه[١٦].

وفي الآيتين السابقتين يتوجه الطرف الأول (المتحدث) إلى الطرف الثاني (المخاطب) بجمل خبرية سَبقَ علمُ المخاطب بها قبل صدورها من المتكلم، فمجيء (إنَّ) في صدرها يتضمن دلالة الاعتناء بما يرد فيها، وتوكيده لمن يسمع هذا الخطاب أو يقرؤه (الطرف الثالث).

- سياق التحسر والشكاية:

في قوله تعالى: " وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ" [سورة الزخرف:٨٨]؛ هذا من استعمال الخبر في التحسر أو الشكاية، وهو خبر بمعنى الإنشاء، مثل قوله تعالى: " وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا" [سورة الفرقان:٣٠][١٧].

وفي دعاء نوح -عليه السلام- بقوله: "قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا" [سورة نوح:٥]، وقوله: "قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي" [سورة نوح:٢١]، جملتان مستعملتان في لازم معناهما وهو الشكاية والتمهيد لطلب النصر عليهم؛ لأن المخاطب به عالم بمدلول الخبر، وذلك ما سيفضي إليه بقوله: "وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا" [نوح: ٢٦][١٨]، وأُكِّد الخبر بـ(إنّ) للاهتمام بما استعمل فيه من التحسر والاستنصار[١٩].

ومثل ما سبق قوله تعالى: "فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى" [مريم: ٣٦] فالجملة ليست للإخبار، إنما للتفجع والتحسر والتلهف على ما فاتها من النذر الذي نذرته؛ إذ الأنثى لا تُحرر لخدمة الكنائس، ولا يجوز ذلك عندهم، وكانت قد رجت أن يكون ما في بطنها ذكرًا، ونذرته لخدمة بيت المقدس والانقطاع لذلك، فلما وضعت أنثى تلهفت على فوت الأمل، وأفزعها أن نذرت ما لا يجوز نذره[٢٠].

---

[١٦] ينظر: الألوسي. روح المعاني، ٢٨٥/١٠. ابن عاشور. التحرير والتنوير، ١١٥/٢٠.

[١٧] ينظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير، ٢٧١/٢٥.

[١٨] ينظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير، ١٩٣/٢٩.

[١٩] ينظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير، ٢٠٦/٢٩.

[٢٠] ينظر: المراغي، أحمد بن مصطفى. تفسير المراغي، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى (١٣٦٥هـ- ١٩٤٦م)، ١٤٤/٣. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ)، ٤٢٤/١، ٤٢٥. ابن جزي، محمد بن أحمد. التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، بيروت: دار

وتأتي هذه السياقات وأمثالها مؤكدة بحرف (إنَّ)؛ ليتحقق السامع وقوعها، وإلا فإن الله قد علم وقوعها[٢١]، ولا حاجة للداعي أن يخبر الله بذلك إلا على سبيل التحسر والاستعطاف كما مر، فدلالة التوكيد في تراكيب (إنَّ) في جمل التعريض بالدعاء، وجمل التحسر والشكاية متوجهةٌ إلى التأثير في الطرف الثالث (السامع) لا في الطرف الثاني (المخاطب)؛ لكونه عالمـًا بالخبر قبل التحدِّث به، فتكون دلالة الخطاب للطرف الثاني هي التحسر والشكاية، أما التوكيد فمتوجه إلى الطرف الثالث.

وفي قوله تعالى: "قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ" [مريم: ٣٦] جاء الخبر متضمنًا دلالة التحسر والتلهف على خيبة رجائها، وفوات نذرها[٢٢]. وقد يُحمل قولها أنه على سبيل الاعتذار عن إطلاق نذرها السابق، ثم عدم وقوعه الموقع الذي يُعتدّ به، فالسياق للاعتذار لا للإعلام[٢٣].

ويُضاف في دلالة سياق الآية تضمنها معنى التوكيد؛ تحقيقًا لكون المولود أنثى، لكنّ الطرف الذي وُجّهت إليه دلالة التوكيد ليس الطرف الثاني (المخاطب)؛ كون المخاطب عليمًا بكل شيء، بل الطرف المقصود هو الأول نفسه (المتكلم)؛ وسبب ذلك هو وقوع الخبر "على خلاف المترقب لها... بحيث تشك في كونه أنثى، وتخاطب نفسها بنفسها بطريق التأكيد"[٢٤]، فالتركيب يشتمل على عدد من الدلالات هي: الروعة والكراهية لولادتها أنثى، ومحاولتها مغالطة نفسها في الإذعان لهذا الحكم، ثم تحقيقها ذلك لنفسها وتطمينها بها[٢٥].

ثم كررت (إن) في قوله تعالى: "وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ" [مريم: ٣٦] مضمنةً إياها دلالة التوكيد؛ لأن حال كراهيتها قد يوحي بإعراضها عنها، فأكدت الخبر إظهارًا للرضا بقدر الله، ثم انتقلت للدعاء الدال على الرضا والمحبة[٢٦].

الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ)، ابن جزي. التسهيل لعلوم التنزيل، ١٥٠/١.

[٢١] ينظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير، ١١٥/٢٠.

[٢٢] ينظر: ابن عطية. المحرر الوجيز، ٤٢٤/١. الزمخشري. الكشاف، ٣٥٦/١. التسهيل لعلوم التنزيل، ١٥٠/١.

[٢٣] ينظر: ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي. اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ١٧٣/٥.

[٢٤] ابن عاشور. التحرير والتنوير، ٢٣٢/٣.

[٢٥] ينظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير، ٢٣٢/٣- ٢٣٣.

[٢٦] ينظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير، ٢٣٤/٣.

ولعل فيما سبق تغيير لما استقر في الأذهان من أن التوكيد موجه إلى المخاطب؛ إذ المخاطب عالم بالخبر قبل كلام المتكلم، فالتوكيد في الآية السابقة موجه إلى المتكلم نفسِه؛ لإزالة شكِّه فيما حصل له مما لم يتوقعه.

وعلى ذلك يكون التوكيد صادرًا من الطرف الأول للتأثير في الطرف الأول نفسه، ثم كرر الطرفُ الأولُ التوكيدَ بجملٍ مبدوءة بحرف (إنّ)؛ لإظهار دلالة أخرى وهي الرضا بما حصل، فالتوكيد فيها موجه إلى الطرف الثاني (المخاطب).

- سياق التوطئة والتمهيد للدعاء:

مثاله قوله تعالى: "قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي" [سورة القصص:١٦]، وقوله: "قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ، فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا" [سورة الشعراء:١١٧-١١٨]، يُلحظ في الآيتين مجيء (إنَّ) بعد النداء، ثم التعقيب بالدعاء. فالجملة المؤكدة بحرف (إنَّ) ليس الغرض منها الإعلام، بل التحزُّن واليأس والتحسر، وكانت بمثابة تمهيدٍ للدعاء الصريح بعدها، أو أنها لإظهار سبب الدعاء[٢٧].

وفي قوله تعالى: "قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ..." [سورة المائدة:٢٥] جاءت الآية على طريقة البثِّ والحُزن والشكوى إلى الله تعالى، مع رقة القلبِ التي بمثلها تُستجلبُ الرحمة، وتُستَنزلُ النُّصرة[٢٨]، ثم أعقبها بالدعاء، وكأن الجملة التي سبقت الدعاء سبب في تحقيق الدعاء.

- سياق التعليل:

مثاله في قصة إبراهيم؛ إذ دعا ربه بقوله: "وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ" [سورة إبراهيم:٣٥]، ثم تحسر وشكا بإعادة لفظ (رب)، وعلل هذا الدعاء بجملة (إنَّ) فقال: "رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ" [سورة إبراهيم:٣٦][٢٩].

وفي قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا" [سورة التوبة:٢٨]؛ استئناف ابتدائي لبيان علة إقصاء المشركين عن المسجد الحرام المفاد بقوله: "مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ" [سورة التوبة:١٧]، جيء به لتأكيد الأمر بإبعادهم عن المسجد الحرام مع تعليله بعلة أخرى تقتضي إبعادهم عنه: وهي أنهم نجس[٣٠].

- سياق الحصر:

---

٢٧) ينظر: الألوسي. روح المعاني، ١٠٧/١٠. ابن عاشور. التحرير والتنوير، ١٦٣/١٩.

٢٨) ينظر: أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط (د.ت)، ٢٥/٣.

٢٩) ينظر: الألوسي. روح المعاني، ٢٢٢/٧. ابن عاشور. التحرير والتنوير، ٢٣٩/١٣.

٣٠) ينظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير، ١٥٩/١٠.

وذلك بمجيء (إنما) بعد النداء، كما في قوله تعالى: "قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ" [سورة الحج:٤٩]، حُصِرتِ النذارة بـ(إنما)؛ لأن المعنى: ليس لي تعجيل عذابكم ولا تأخيره عنكم، وإنما أنا منذركم به؛ ولأن الحديث مسوق للمشركين[٣١].

وفي قوله تعالى: "فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم" [سورة يونس:٢٣] حصرٌ كذلك، ويُلحظ اتصال الحديث عن البغي في الأرض بغير الحق قبل (إنما) وبعدها؛ إذ جيء بجملة (إنما) لتصحيح مفهوم جملة (يبغون في الأرض)، وقصر ضرر البغي على أنفسهم فقط لا على الخالق -سبحانه-[٣٢]. فمجيء (إنَّ) بعد النداء لم يقطع جملتها عن السياق الذي قبلها، إنما أضاف دلالة الحصر لتوكيد المعنى المراد.

- سياق التفصيل بعد الإيجاز:

في قوله تعالى: "وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ" [سورة غافر:٣٨]، إذ أجمل أولًا في قوله: (سبيل الرشاد)، وهو سبيل الإيمان بالله، ثم فسر بقوله: "يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ" [سورة غافر:٣٩]، فافتتح بذم الدنيا، وأن متاعها زائل، وأن الخير لهم هو العمل للسعادة الأبدية.

والجملة تفيد القصر، أي لا صفة للدنيا إلا أنها نفع موقت، وقد أثبت ضد الحكم لغير المذكور بقلب القصر في تتمة الآية: "وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ" [سورة غافر:٣٩][٣٣].

وفي قوله تعالى: "وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي" [سورة طه:٩٠]، جاءت (إنّ) بعد النداء، واتصلت بها (ما) فأفادت دلالة القصر، وهذا القصر متوجه إلى نفس الفعل بالقياس إلى مقابله الذي يدّعيه القومُ، أي: على معنى إنما فُعل بكم الفتنة لا الإرشادُ إلى الحق، وليس القصر متوجه إلى معنى إنما فتنتم بالعجل لا بغيره[٣٤]، فيكون معنى الجملة: ما هو إلا فتنة لكم وليس ربا[٣٥].

وقد قُرئت (إنَّ) بفتح الهمزة بعد النداء في قوله تعالى: "وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي" [سورة طه:٩٠]، إذ قرأ الحسن وعيسى وأبو عمرو -في رواية- (وأنَّ ربكم) بفتح الهمزة، والجمهور بكسرها، وأُولت قراءة الفتح بأن المصدر المنسبك منها في موضع خبر

---

٣١) ينظر: أبو حيان. البحر المحيط، ٥٢٣/٧.
٣٢) ينظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير، ١٣٩/١١.
٣٣) ينظر: أبو حيان. البحر المحيط، ٢٥٩/٩. ابن عاشور. التحرير والتنوير، ١٤٩/٢٤-١٥٠
٣٤) ينظر: أبو السعود. إرشاد العقل السليم، ٣٧/٦.
٣٥) ينظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير، ٢٩٠/١٦.

مبتدأ محذوف تقديره (والأمر أنَّ ربكم الرحمن)، فهو من عطف جملة على جملة، وقدره أبو حاتم (ولأنَّ ربكم الرحمن). وقرأت فرقة (أنما) (وأنَّ ربكم) بفتح الهمزتين، وتخريج هذه القراءة على لغة سليم؛ إذ يفتحون (أنَّ) بعد القول مطلقا[٣٦].

الخاتمة:

سعت هذه الدراسة إلى بيان التوجيه الدلالي لتراكيب (إنَّ) بعد النداء في القرآن الكريم؛ من أجل الوقوف على خصائص استعمالها في التراكيب التي وردت فيها، وبعد التتبّع والتحليل توصّل البحث إلى النتائج الآتية:

- الدلالة الرئيسة لحرف (إنَّ) هي التوكيد، وهذه الدلالة أقرَّها النحويون والمفسرون في معالجتهم لتراكيب (إنَّ).
- تتوجه دلالة التوكيد في بعض تراكيب (إنَّ) إلى التأثير في الطرف الثالث (السامع) لا في الطرف الثاني (المخاطب)؛ لكونه عالمـًا بالخبر قبل التحدِّث به، كما في مجيء (إنَّ) في جمل التعريض بالدعاء بعد النداء.
- تتوجه دلالة التوكيد في بعض تراكيب (إنَّ) إلى التأثير في الطرف الأول (المتكلم) كما في حال وقوع الخبر على خلاف المترقب له.
- تتسع دلالة (إنَّ) في بعض التراكيب فتدل على التوكيد وغيره، كتضمّنها دلالة التعليل في تراكيب مخصوصة، منها: مجيء (إنَّ) بعد النداء لتعليل السياق السابق لها.
- القول بأن موضع مجيء (إنَّ) هو الابتداء لا يعني قطعها عن السياق قبلها، فهي تؤدي وظيفةً معنوية في ربط السياق التالي بالسياق السابق في كثير من مواضعها.

٣٦) ينظر: أبو حيان. البحر المحيط، ٣٧٤/٧.

قائمة المصادر والمراجع:

١. الأزهري، خالد بن عبد الله. التصريح بمضمون التوضيح في النحو، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

٢. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ).

٣. ابن برهان، عبد الواحد بن علي العكبري. شرح اللمع، تحقيق: فائز فارس، الكويت: د.ن، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).

٤. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة: مطبعة المدني، جدة: دار المدني، الطبعة الثالثة (١٤١٣هـ-١٩٩٢م).

٥. ابن جزي، محمد بن أحمد. التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ).

٦. أبو حيّان، محمد بن يوسف بن علي:

- ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: رجب عثمان محمد، القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ-١٩٩٨م).
- البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر، د.ط (١٤٢٠هـ).

٧. ابن الخباز، أحمد بن الحسين. توجيه اللمع، دراسة وتحقيق: أ. د. فايز زكي دياب، مصر: دار السلام، الطبعة الثانية (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).

٨. الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق. حروف المعاني والصفات، تحقيق: علي توفيق الحمد، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٩٨٤م).

٩. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد:

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة (١٤٠٧هـ).
- المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: د. علي بو ملحم، بيروت: مكتبة الهلال، الطبعة الأولى (١٩٩٣م).

١٠. السامرائي، فاضل صالح. معاني النحو، الأردن: دار الفكر، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).

١١. ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل. الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة (١٤٣٦هـ٢٠١٥م).
١٢. أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط (د.ت).
١٣. ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي. اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ-١٩٩٨م).
١٤. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط (١٣٩٣هـ).
١٥. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ).
١٦. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين. اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: د. عبد الإله النبهان، دمشق: دار الفكر، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ-١٩٩٥م).
١٧. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م).
١٨. المرادي، أبو محمد حسن بن قاسم. الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ-١٩٩٢م).
١٩. المراغي، أحمد بن مصطفى. تفسير المراغي، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى (١٣٦٥هـ- ١٩٤٦م).
٢٠. ابن الناظم، محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك. شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م).
٢١. ابن يعيش، يعيش بن علي. شرح المفصل، قدم له: د. إميل بديع يعقوب، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).